

تمهيد:

حللنا في البابين السابقين مؤلفات بلاغية وكلامية وأصولية، وكشفنا عن بنياتها ووظائفها. وقد تحكمت في بنياتها آليتان أساسيتان؛ هما: المقايسة والمنطق الصوري، ووجهت وظائفها مقاصد سياسية وإيديولوجية تتركز - فيما دعوانه - بالموافقة. وسنحلل في هذا الباب مؤلفات من نوع آخر لنثبت - من خلالها - استمرار آلية المقايسة في أجلى صورها فناب منطقتها الطبيعي عن المنطق الاصطناعي، أو فلنقل: إن المنطق الطبيعي احتل الصدارة فيها واختفى المنطق الصوري أو كاد ليحل محله الأسلوب الشعري والخطابي والجدلي. هكذا هيمن في النماذج التي سنختار للتحليل المنطق ذو الجذور الأفلاطونية والأفلوطينية والهرمسية؛ أي الوجه الآخر للعملة الفكرية الإنسانية.

وأما من حيث الوظيفة فإن بعض هذه النصوص صريح في دعوته إلى الاتحاد والجهاد والاتفاق بدل الفرقة والشقاق مثل قصيدة ابن طفيل التي يحث فيها عرب إفريقية على الجهاد مستعملاً «البراهين» البلاغية والشاهد التاريخي الأمثل المستقى من مسيرة السلف الصالح، وبعضها وظف رمز الحيوان للتمثيل كما هو متجذر في الفكر الإنساني لإقامة التوازن بين الفئات المحكومة وسلطات الزمان، وبين الديانة الشعبية والديانة العالمية، وبعضها ضرب المثل بالشجر ومزج فيه العقل بالنقل والخارق بالعادي لاقتراح برنامج تربوي وتعليمي لتكوين «السياسي الكامل» الذي يستطيع أن يوحد الأمة حول كلمته.

بناء على هذا، فإن هذه المؤلفات تسير في خطى المؤلفات السابقة توخياً للغايات نفسها؛ وسيسعى التحليل أن يبرز بنياتها ووظائفها.